

فدك في التاريخ

[58] بمنازعتها حول فدك على ذلك الوجه العنيف الذي لم يعرف أو لم يشأ أن يعرف هيبة للسلطة المهيمنة، أو جلالة للقوة المتصرفة، يعصم الحاكمين من لهيبتها المتصاعد، وشررها المتطائر، وبقي الحكم من إشعاع نور متألفة تلقي ضوءاً عليه، فتظهر للتاريخ حقيقته مجردة عن كل ستار، بل كانت بداية المنازعة ومراحلها نذير ثورة مكتسحة أو ثورة بالفعل عندما اكتملت في شكلها الأخير، ويومها الأخير، تحمل كل ما لهذا المفهوم من مقدمات ونتائج، ولا تتعرض لضعف أو تردد. وما عساه أن يكون هدف السلطة الحاكمة، أو بالأحرى هدف الخليفة رضى عنه ^١ نفسه في أن يقف مع الحوراء على طرفي الخط، أو لم يكن يخطر بباله أن خطته هذه تفتح له باباً في التاريخ في تعدد أولياته، ثم يذكر بينها خصومة أهل البيت ؟ ! فهل كان راضياً بأوليته هذه مخلصاً لها حتى يستبسل في امتناعه، وموقفه السلبي، بل الأيجابي المعاكس ؟ أو أنه كان منقاداً للقانون، وملتزماً بحرفيته في موقفه هذا كما يقولون، فلم يشأ أن يتعد حدود ^٢ تبارك وتعالى في كثير أو قليل، وإن لموقفه الغريب نجاه الزهراء صلة بموقفه في السقيفة، وأعني بهذه الصلة الاتحاد في الغرض، أو اجتماع الغرضين على نقطة واحدة (1). وبالأحرى أن تقوم على دائرة واحدة متسعة

(1) ينقل ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة

16: 284 قال: (وسألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة صادقة ؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة ؟ فتبسم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا مع ناموسه وحرمة وقلة دعايته، قال: لو أعطاه اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً، وادعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشئ، لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة فيما تدعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بينة ولا شهود). قال ابن أبي الحديد: وهذا كلام صحيح.